Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(6); June 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
09.05. 2019	08.06.2019	15.06.2019.

The feminist voice in Algerians Amazigh poetry

الصوت النسوي في الشعر الأمازيغي الجزائري

د. ريلي نصيرة

Dr. Rili Nacera

أستاذ محاضر(أ) : جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية/ الجزائر

الملخص

سجّل الشعر النسوي الأمازيغي حضوره وبقوة بين أنواع الشعر الذّي أنتجه الرجال، واستطاع بذلك أن يحتل مكانة مقبولة في أقسام الشعر، فقد استطاعت هذه الأخيرة أن تبحث لنفسها عن مكان ومكانة ضمن المنظومة الاجتماعية والثقافية والفنية التي تأسست وفق رؤية ذكورية.

استقت المرأة الأمازيغية الشاعرة مواضيع أشعارها من الحياة اليومية بأفراحها وأتراحها وعبّرت عنها بطريقتها الخاصة المتميزة، فأبدعت أشعارا جميلة ورائعة بلغة مأنوسة سهلة رقيقة تفهمها كلّ فئات المجتمع.

سأحاول من خلال هذه المداخلة الموسومة "الصوت النسوي في الشعر الأمازيغي الجزائري" بإعطاء صورة متكاملة عن الشعر النسوي الأمازيغي، والتعرض لمختلف موضوعاته قصد إبراز أهم انشغالات المرأة في هذا المجتمع التقليدي المحافظ.

الكلمات المفتاحية: الشعر النسوي، الترقيص، الزواج، الثورة، الهيمنة الذكورية، شعر النقائض.

Abstract

The feminist voice in Algerians Amazigh poetry. The Amazigh women's poetry recorded its strong presence among the types of poetry produced by men. It was thus able to occupy an acceptable position in the poetry sections. The latter was able to search for a place and place within the social, cultural and artistic system that was established according to a male vision.
The Amazigh woman drew poetry from her daily life with her joys and sorrows and expressed them in her own distinctive way. She created beautiful and wonderful poetry in a language of easy and gentle manhood that all segments of society understand.
Through this intervention, I will attempt to give an integrated picture of Amazigh women's poetry and exposure to its various themes in order to highlight the most important concerns of women in this traditional society.
Key words : women's poetry, poetry and contradictions, marriage, revolution, male domination, poetry of caressing.

مدخل:

يعد الشعر النّسوي الأمازيغي من أقدم أشكال التعبير الشفوي التي عبرت من خلاله النسوة عن مشاعرهن، وأمانيهن، وأفراحهن وأتراحهن، وعاداتهن، وتقاليدهن، وهمومهن، وطموحاتهن، ومن أهم سماته أنّه شعر شفاهي محفوظ في صدور النساء، ويعتمد في سيرورته على السّماع والحفظ واستخدام الذاكرة، ومن أهم العوامل التي ساعدت على بقائه حيا إلى يومنا هذا أنّه« كان يُلحن ويُغنى به في شتى المناسبات والحفلات، ثم إنّ ميل النّاس إلى الموسيقى، وشغفهم بها كان دافعا قويّا لاستمراره وبقائه»(مُحَمَّد الأمين، 1969، ص.10).

لم يحظ الشعر النسوي الأمازيغي بدراسة وافية مثل الأدب الذكوري الرجالي، رغم بروز جمهرة من النساء الشاعرات اللائي أبدعن شعرا كما أبدع الرّجال أمثال: فاظمة أُث منصور عمروش، ولالا خديجة، واللا يمينة، وتاسعديت هيبل، وردية عازم ، وفاطمة ناث رمضان، وشريفة، وتاسعديث ونيش، وغيرهن كثيرات.

ونحن نطالع هذا الشعر نجد أن المرأة الشاعرة قد كتبت في كل الأغراض والموضوعات التي كانت تعيشها في بيئتها الاجتماعية من سعادة وحزن ومآس، ومهما يكن من أمر فإهمال شعر المرأة الأمازيغية من قبل الباحثين والنّقاد، وضياع أكثره يعود إلى أسباب اجتماعية قاهرة تحكمت فيه، وكذلك إلى أسباب تاريخية نذكر منها ما يلي:

. الشعر الأمازيغي شعر شفوي، وهي صفة لزمته منذ آلاف السنين، وظلت تشكل إحدى قنوات تواصله الزمني عبر الأجيال.

. التعصب من قبل الرّجال الذين عاشوا بعقلية وأد المرأة معنويا، وبالتالي عدم الاعتراف بشاعريتها باعتبار أدبها أدب لا يستطيع أن يرقى في خصائصه الفنية إلى إبداع الرّجل الشاعر، في حين أن الإبداع عملية فنية لا هوية جنسية لها.

. نظرة المجتمع الأمازيغي التهميشي للمرأة إذ كان يعدّها الرجل موضوع جنس في يده، ولا تصلح إلاّ لإدارة شؤون البيت ورعاية الأبناء.

الإشكالية:

يمكن تحديد إشكالية البحث في ثلاث تساؤلات محورية كما يلي:

- **ما هو موقع الشعر النسوي الأمازيغي بالجزائر؟.**
- **ما دور المرأة الشاعرة الجزائرية الأمازيغية في حقل الحركة الثقافية؟**
- **ماهي الأشكال والموضوعات التي تناولتها الشاعرة الأمازيغية من خلال أشعارها؟**

الشعر النسوي الأمازيغي أنواعه وسياقاته ووظائفه:

1. **شعر الأمومة :**

يلتقي الطفل بعالم الشعر في مرحلة مبكرة جدا من حياته، فتتولد بينهما علاقة حب قوية تدوم، ولا تنمحي طوال حياته، فرحلته مع الشعر المغنى تبدأ يوم ولادته فهو«ينام على صوت أمه وهي تهدهد له ويضحك حينما ترقصه بين يديها، ويجري ويقفز حين تداعبه، فيغني مشكلا الحلم الجميل والعالم الطفولي الذي يحلم به الكبار، وينشأ الطفل مع الغناء، فتتكون عواطفه ومشاعره بنقاء وصفاء الأغنية المنْسَابَة إلى أذنيه في صوت أمّه»(المجلة الأردنية، 2013، ص.176). فتألفها أذناه منذ الصغر، فتكون بمثابة الحبل السري الذّي يربط الرّضيع بأمّه وهو أنواع:

. **الهدهدة:** (أزوزن) أو أسبربر أو أهزو تسميات مختلفة لمسمى واحد، ويُقصد بها تلك الأشعار التي ترددها الأم على مسامع ابنها حتى يداعب النوم أجفانه فينام، وهو في المهد، أو على ركبتها أو على ظهرها، ومن بين هذه النماذج ننتقي المقاطع التالية(يوسف نسيب، 2007، ص.64):

انزل انزل أيّها النعـاس أَرْسَدْ أَرسَـدْ أَيِـضَسْ

اتـرك ابـني لينام تَحَّـطْ أمِـي أَذْ يِـطَـس
لا يـصاب ولا يبــ أور ثِـيتَاغْ أور ثِيـبلُو
قلبه عامر إلاّ بالخيـر حشَى لْخِيرْ ذقُولْ يِنَاسْ

وقولهن أيضا(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.111) :

أيّـها النوّم الـمهدهـد أَ يِـضس يِزُوزُونـنْ
هـدهـد إبني لـينـام زُوزُونَنْ أَمِّي أذْ يِطَّسْ
أبعـد عنه كل البـلاء أُور تْـيِتَاغْ أور ثِيبلُو
واغـمـر قـلبه بكل خير أَلاَ لْخِيرْ دق قول ينَاسْ
وأي دمـع قـد يبكيها إمطَاونْني أَرَى يِرُو
فالتكـن من نصيب عدوه أذْ تنِرُو وضعْذَاوْ يِنَـاسْ

وعندما ينام الطفل تواصل الأم الغناء فتتضرع (لأعساس نْ وخام) أي حارس البيت بحراسة ابنها ووقايته من كل الأضرار والشرور، مثلما يتجلى من هذا النموذج (مُحَّد جلاوي، 2009، ص.117.):

يا حـارس هـذه الدّار أيـا عَسَاسْ بو خام
أعترف بقدرتك الـواقية أو لِيذِي كِتْـشْ ذْ بابا
لأكون لك كـالـسنونو تيغـاس تِيفـرِلاسْ
وأحتمي تحت جنحـك دور يغاك ثــلابا
ألتمس منك دعاء الخير ذَلْبَاغْ كان دْعْـوة لْخِير
أوقف عنّي وفاة الصبية كْـفـوا فَلِي أزْر ثَاسة
ليدوم لي صبي ويحيا الـمـيّ أد يِذيرْ يِلـي
ومن مهده يشبعني الابتسامة سي الدّوحيس أذ يِتضْسَ

كما تتضرع المرأة الأمازيغية أيضا للأولياء الصالحين وتدعوهم أن يكونوا عونا لصبيها في قولها(يوسف نسيب، 2006، ص.65) :

الأب عـلـي موسى الأسد بابا علي موسى إيـزم
الذّي زارك نال البركـة ويـن إكِيزُوْرَنْ يـوقَمْ
خير له من الذهاب إلى عرفة خِيرْ ما يْرُوحْ أرْ عَرَفَـة
والاغتسال في بئر زمزم يِشُوشف ذي بِير زمزم

. **أشعار المداعبة(أسرقص):**

ونعني به ملاعبة الأم لطفلها ومداعبته بدفعه نحو الأعلى بحركات منتظمة وإنزاله بعد ذلك على ركبتها حتى يبقى مستيقظا نشطا، وذلك ما يظهر جليا في متن هذه النصوص الشعرية(مُحَمَّد جلاوي، 2009، ص.122.):

المسو السو السوهيان	السو السو السوهيان
الضيوف لما حلوا	إنقوَنْ مِي دُوسَنْ
عن ابني سألوا	غَافْ أمّي إ دْسَقْسَنْ
فوجدوه من المحسنين	أُوفَانت بابْ نْ لَحْسَنْ
يوزع المزبد بالمكيال	إفرَّقْ أُوذِي سْ طِيسَانْ
السو السو السوهيان	السو السو السوهيان
لتنمو بجسد بدين	سْ وكْسُومْ تجَّاضْ لْكمْيَ
وتشبه الخرفان الوائل	تشْبِضْ إِيزِيمَرْ إِيمَنْزَى
كلما دخلت البيت	ميذْتْكَشْمَضْ دڤ إيمي تَبُورْثْ
غزتني الفرحة والابتسامة	نشْرَاحاغْ سْ تضْسَى

ومن خلال هذه النماذج الشعرية المقدمة، يتضح لنا أنّ المرأة القبائلية قد أولت الطفل اهتماما كبيرا، لإيمانها الشديد أن رعاية الطفل في الصغر هو من يخلق رجلا ناجحا في الكبر، فاستطاعت أن تبدع له أشعارا متنوعة حتى توثق علاقتها به من جهة، ومن جهة أخرى تعليمه وتثقيفه وغرس في ذهنه الكثير من المواقف والقيم والفضائل الحسنة التي يحتاجها في حياته المستقبلية.

2 . شعر الغربة:

أخذ موضوع الغربة حصة الأسد في الإبداع النسوي الأمازيغي، فقد عبّرت هذه الأخيرة عمّا تعانيه من غبن وحرمان لفراقها زوجها الذّي رحل إلى فرنسا وتركها تعاني آلام الفراق من جهة، وسوء معاملة عائلة الزوج لها من جهة أخرى، ومن بين الفنانات اللّواتي برعن في هذا الموضوع نذكر على سبيل المثال لا الحصر كلّ من: حنيفة، وشريفة، وبهية فراح وغيرهنّ.

لقد نقلت الإنتاجات االشعرية الأمازيغية الحرمان والمرارة التي تحس بهما زوجة المغترب الذي تركها لمدة طويلة تصارع مصائب الدنيا وتقلباتها إمّا وحيدة، أو رفقة أولادها الذين تحولوا إلى يتامى مع أنّ أباهم حي يرزق أنسته المِدَنِيَة التي يحياها في باريس، وحياة اللّهو والمجون فلّذة كبده ومسؤولياته اتجاههم، ذلك ما أكدته الباحثة عايدة

أديب بامية حين قالت: «عندما يتناسى رب العائلة أسرتَه، وتضحى الأسرةُ بلا نقود تتلقاها، ولا هدايا أو إعانات تساعدُها، ذلك لأنّ هناك عمالا قد تخلُوا عن عائلاتِهم واستقروا بصورةٍ نهائيةٍ في فرنسا حيث تزوجوا ولم يعودوا مطلقا للجزائر»(عايدة أديب بامية، 1982، ص.98)، ومن القصائد الناقلة لهذه المعاناة القاتلة التي يخلفها الفراق أو الجفاء في نفسيةِ زوجة المغترب، وما يبْعثُ في قلبها من كآبة ويأسٍ وشقاء، نذكر قصيدة الفنانة شريفة مْلَعْيون صاحبة العيون:

ذات الـعيون تـبكي أم لعـيُـونْ تثْرو
على زوجها الذّي ذهب للغربة يــروح ورقـازيس
رفض أن تصطحـبه يـقـ ـوما أتـسدو
ذات العيون تـبــكي أم لعيــون تتسـروا
على حظهـا المــسيئ غــاف أزهريث دريث
زوجهـا ســـافـــر أرقــازيــس يروح
يعشق الـ فرنسية يــعـشق ثارميث

كما صورت لنا الشاعرة الأمازيغية من خلال إبداعاتها الشعرية معاناة المرأة القبائلية التي تخلى عنها زوجها(أمْجَاحْ) واستبدلها بأخرى أجنبية، ويظهر ذلك جليا من خلال أغنية نوارة المشهورة ما تبْغِيضْ أمْنَّقال(إذا أردت أن نقسم لك):

إذا أردت أن نقـسم لـك ما تَبْـغِيضْ أمْنَـقـال
أقســمنا بسيدي هـلال أحــقْ سـيذي هْلاَلْ
زوجــك فــي باريس أر قـازِيــمْ قـالبَـارِي
يتجول مع صاحبة السروال إيــلَـحُو ذنُو سَرْوَالْ
كـم صـبـرت القبـائلية تقبايليثْ أشحالْ تَصـبْـرْ
فقد وجّهها لتربية الـمواشي يِــرَاتَسْ إيلْمالْ
إذا أردت أن نـقـسم لـك ما تَبـْغِيـضْ أمـقال
أقـسـمنا بسدي عـيش أحق سـيدي عيــشْ
زوجــك في بــاريس أرقــازِيمْ قــالبَارِي
يـربـي طـفـــلا يِترَبِي أقــشيـشْ
كم صبرت القـبائليـة تقبايليثْ أشــحالْ تَصْبَرْ

فقد أضحت تـجمع الحشيش. يِراتْ إيلَـحْشــيِشْ

ومن القصائد الأخرى التي بينت فيها المرأة الشاعرة سخطَها ونقمتَها على زوجها الخائن الذي تركها، وتزوج من الفرنسية الجميلة التي احتلت مكانها واستحوذت على كل حقوقها المادية والجنسية والنفسية، نذكر الفنانة حنيفة في قصيدتها يسمّى خاقاه Yessetma xaqeγ أخواتي النساء شوقي حاد :

علي بـالـصبـــر أد صـــبْراغ رنوغ

وعـلي بجمع التين اليابس أد لُـقْـضاغْ ثـزارْث

وكـيـف لـي أن أشـفى أميك أرى حْـلـوغ

وقــد تـزوج بالفاسـقة مي يِـزوج ذ تَكْلوشارثْ

أخيرا نقول، أن شعر الغربة قد حظي بعناية فائقة من طرف المرأة الأمازيغية، فقد بيّنت من خلاله ما تعانيه من غبن وآلام وأوجاع والانكسارات النفسية نتيجة بُعد الزوج عنها وذهابه إلى بلاد الغربة بلا رجعة.

3. أشعار الأفراح:

وهي مختلف الأشعار التي تؤدى في المناسبات السعيدة من ميلاد، وخِطبة، وزواج، وختان. .**أشعار ميلاد الذكر**

تستقبل الأسر القبائلية ميلاد الذّكر بالفرح والترحيب والفخر، وتقام له الولائم، وتُكرّم الأمهات عكس ميلاد الأنثى لأن الذّكر هو الذي يحمل اللّقب العائلي ويُخلده، يدافع عن عشيرتِه ووطنِه، يجلب الخير ويساهم في إثراء أسرتِه وتحقيق اكتفائها الاقتصادي، فهو الأقوى ساعدا وفكرا، لذا قيل: المال في سواعد الرجال«فالتهليل به يتجاوز نطاق الأسرة، ليشمل الأعمام والأخوال، ويبلغ حدود العرش والقبيلة، الأم المنجبة للذكر تُقلّد بالأبزيم والخلخال رمزا للأبعاد المجسدة في الحس الاجتماعي المتوارث، إذ أن ميلاد الذكر يمثل القوة الداحرة للعدو»(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.127.)، ومن المقاطع الشعرية الدالة على ذلك(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.128):

حـينما ولـدت يا ابني أسمي ذْ تـلولـظ أمّي

العدو اغتاظ ولم يُعِد العشاء أعْذاو أور يـقي إمَنْسي

فـرح بـك الـخالـق يفراحْ وين إكيذِي يخلقن

وفـرحت لـك بالصفـاء رْنِيغْ أولا ذْ نكيـني

. **أشعار الختان**

وهو قطع القُلفة التي تغطي حشفة الذكر، فالرّجل في العقيدة الإسلامية لا يكون طاهرا إلاّ إذا ختّن، وتسمى هذه العملية في المجتمع القبائلي القديم الطَّهَرْ أو الظَهَرْ بمعنى التطهير، وعادة ما كان يتم في السنوات الأولى من حياة الطفل، ومن النماذج الناقلة لهذه المعاني قولهم(الأنماط الشعرية الأمازيغية، 2005، ص.10):

هـات يـــدك أويـد أفُـوسـيـك

حتى نضع الحـاء عليها أكـنـقّـمَنْ لحَـنِـي

اليوم حضرنا حناء ختانـك أسَى نَحضَرْ إلْحِنِي نَخْتَنَاكْ

اللّقاء يجمعنا لربط حناء زواجك ثِمْليليـثْ أَلـزْوَاجِيك

. **شعر الزواج**: وينقسم إلى الموضوعات التالية:

. **شعر فتل الكسكسي**: تجتمع النسوة من قريبات العروس أو العريس لمساعدة الأم لفتل الكسكس في جو من الفرح والغناء وإطلاق الزغاريد، ومن الأشعار المؤداة في هذه المناسبة نقدم هذا المقتطف:

بسم الله نبدأ الفتل بسم اللّـه أنبـذو

إن شاء الله يكون جيـدا إن شـــا الله أديلهُو

الكسكس نعدّه بفـرح سكسو أث نفْثل سْ لـفرح

للشاب كـي يفرح إوقشيش أذ يـفـرح

يا أمّه قدمي لنا السميد أ يـمـاس أويد أوْرن

يا شقيقته قدمي لنـا الماء أ وتماس أويـد أمـان

اجلسن يـا نـسوة قيمَـث ألـخـلاث

أعـانكـن الـلـه ربّـي أك تِـعِـيوَن

.**شعر خضب الحناء**: يبدأ الاحتفال بالزّواج في المجتمع الأمازيغي في عشية الزفاف(ليلة الحناء) في بيت العريس والعروس معا، حيث تقوم الجدة أو العمة بعجن الحناء بالماء والسكر والبيض وإشعال الشموع مرددة الترانيم التالية(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.188):

هـات يـــدك أويـدْ أفُوسِـيمْ

يـدك الجـمـيـل أفُـوسِيمْ بِشبَـاحْ

ليخـضـب الحـنـاء أذْيـقِـنْ لْـحَـنِي

ذات الـــورد المفتق لْـوَرْدْ مِـي يِفتَّـحْ
صاحبـة الحـظ السـعيد مْثْـوَنْـزَى نـرَارْ
فـــال الخير والأرباح يِســاوَلـَنْ إِيـرْبَحْ
تـدخـلين بيتك أخَـــام أذ تكـَشْمَضْ
مثـــل شمس الصباح أمْ يِتِيجْ نْ صْبَاحْ

ويشارك الأقارب والأصدقاء والجيران صاحب هذا الاحتفال(الزواج) بالغناء والرقص وإطلاق الزغاريد والبارود.

. **شعر يوم المغادرة (As n tikli)**: يولي المجتمع الأمازيغي أهمية كبيرة ليوم رحيل العروس من بيت أهلها نحو بيت زوجها، فقد جرت العادة أن يتوقف موكب النساء الذّي جاء لأخذ العروس عند مدخل بيتها الأبوي مرددات أشعارا فيها الكثير من الثناء على أهلها وذويها حتّى يُسمَح لهنّ بنقلها إلى بيتها الجديد، بعدما تمر تحت ذراع والدها دون أن تلتفت نحو الوراء حتى يكون زواجها ناجحا مباركا، ومن المقتطفات الشعرية الناقلة لهذه المعاني قولهم(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.185):

ليسهل الله عليك الـذهـاب ربّـــي أذ إِسـهّـلْ
وقد بسطت عليك جنح الأمان زُورَغـم تـشـْظَاظْتْ
غـــمـدوا الـبـنـادق. خـزْنَـــاتْ لَمْكحال
يـا أبـنـاء الـبـراري أثَـــارْوَى نْ تغَالطْ
كـوني لصقرك المكحـــل إِ لْبـازْ إِمْـــكَحَـلْ
مـثل الـحزام ملازمة الشُّبُوياسْ تَغـُوقـات

. **شعر استقبال العروس**: عند وصول العروس إلى بيت بعلها تستقبلها النسوة مرددات الترانيم التالية:

أهـلا بـك يـا عـروس ألـعـسلامـام أتيسليث
جعلك الله فال سعد وهنـاء أكميـجْعلْ ربّي تسعْـديث
يا بندقية جـزائرية أثمـتكحلت تازْدايريث
أهلا بك يا عـــروس ألـعـسلامـام أتيسليـث
جعـلك الله كالـمرسى أكْمـير ربّـي ذ لْـمرْسى

يا بـندقية مـن فضّة أثمكحلـت نْ لْـفطـة
مرحبا بالضيـــوف ألعـسلام سي قفافَـن
الذين عادوا من بلدان بعيدة إدقْلن ڤ ثمورا إبعـــدن
جلبوا معهم الذّهب الغالـي إويند المدهـبْ إغْلايـن

. **شعر الصباحية:** وفي صباح اليوم الموالي للعرس، وبعدما يعلن أمام الملأ نقاوة شرف الزوجة يتقدم أحد إخوة العريس ليقوم بقطع خصلة من شعر العروس الأمامية للدلالة على عبور الفتاة إلى طور الزوجة مقدما لها هدية، ومن المقاطع الشعرية الدالة على ذلك:

امشطن شعر المعـروس مشْضَمَاسْ أمْزُور أرقاق
المسدول على أكتاف اللبوءة إدْ روع تْـــسدا
تزوجت الباز الــحـر وين توغاضْ إلباز إمرقم
نتمنى لك حياة الهناء مع حماتك إهنِيكم دي تمغارثيم
وبيت عامر بالبنين ولبنـات سْ لعمـارَة نْ وخاميم

هذه إذن بعض المناسبات السعيدة التي عاشتها الشاعرة القبائلية، وأبدعت فيها أشعار متنوعة تتباين مضامينها بتباين المقام والمناسبة.

. **شعر النقائض أو (المناظرات الشعرية):**

وهو نمط من الأنماط الشعريّة القديمة، الذي عرف رواجا كبيرا في المجتمع الأمازيغي فيه يتبادل «الأشخاص القول، يؤدى بمجموعة من الألحان أو بدونها، وتقع بين الرّجل والمرأة، أو بين العروس وحماتتها، أو بين شاعرين أو بين مجموعتين(أهل العروس وأهل العريس)...وقد تتحول النقائض من صراع كلامي إلى مشاجرة عنيفة»(نبيل حويلي، 2012، ص.55) .

فقد صوّرت لنا المادة الشعرية ذلك الصراع الأبدي بين الكنة والحماة، وهو صراع ليس وليد المجتمع الأمازيغي، بل هو صراع عرفته المجتمعات البشرية منذ فجر تاريخها، فالحماة تشعر بالغيرة من كنّتها، التي ترى أنها سلبتها ابنها الغالي الذّي تعبت في تربيته سنين عدة وشاركتها فيه، فيتصاعد الصراع بينهما «نتيجة لأوامر الحماة الدائمة والموجهة لها، والتي تعكس رغبتها في الهيمنة عليها والتحكم فيها، وبخاصة إذا كانت مقيمة معها بالمنزل نفسه» (سامية علي حسنين، 2006، ص.ص.5،6)، وعادة ما تتخذ النساء من مناسبات الزواج والأعراس الزمن المناسب لتبادل الشتائم واللّوم بهدف التنفيس عن مكنونات النفس، واللّهو والتسلية حيث تنقسم النساء إلى

مجموعتين الكنات والعجائز، فتقوم كل مجموعة بنقض الأخرى، وكأنه حوار يدور بينهما، كما توضحه الأشعار التالية:

الكنات:

موتي غيظا أيتها اللعجوز — الشاه الشاه أثمغارث
ابنك أهـداني عـقدا — الميم يـبـويد أزار
وكم أحضر من صابون — إديوبي دي صابون
وإن لم يُعجبك الأمر — ما يلى أور ديمْيِلهي
فليعصف بك الجنون — تجنويت أكَمـتْاوي

فترد عليهن العجائز:

أكثر ما أتمنى من الله — تمناه دي سيدي ربي
أكـل البـيض — أوين يشان تملاليـن
وإحضار سفينة جديدة — أدياوي البابور أجديد
تُقيل عرائس هذا الزمان — أديسركب ثيسلالثين
يُـنزع منهـن السلطة — أسنْ يكسْ تِيسورى
ويُرمى بهن في بحار عميقة — أثنبوي غُور لبْحار
اللّه اللّـه يا أمـاه — اللّه الله أيِما
قوم هذا الزمان سيقول شيئا — لْقُوم أقي أديِني كرَى.

. **أشعار العمل:**

كان الإنسان على مرّ التّاريخ يؤدي أشعار وأغاني مختلفة تساعده على الاستمرار في تأدية عمله مهما كان شاقا ومتعبا، وهي الفكرة التي يؤكدها بول زمتور P. Zumthor في قوله:«أغلبية الثقافات تملك، أو قد تملك شعرا شفويا (في الغالب على شكل أغاني) موجها أساسا لمصاحبة إنجاز الأعمال، خاصة منها المنجزة بشكل جماعي، وفي إفريقيا كل الأعمال اليدوية تُصاحب عادة بالغناء....تسهل حركة اليدين أثناء انجاز الأعمال، وتساهم أيضا في تحرير العامل من المشاق، بتكييفه مع أجواء عمله»(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.143)، فهي أشعار موغلة في القدم قِدم العمل، وهي نوعان، أغاني فردية يؤديها الإنسان عند القيام بعمل ما بمفرده مثل أغاني الحياكة، وأغاني مخض الحليب، وأغاني جماعية تصاحب أعمال التويزة في المواسم الفلاحية كجني الزيتون، الدرس، والحصاد والحرث، ومن النصوص الشعرية المؤداة في مثل هذه النشاطات والأعمال، نذكر على سبيل المثال لا الحصر **أشويق مخض الحليب**(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.151):

تـمخض أيّها الحليـب الـنّدو النّدو أيغي
وشـكل أقساطا من الزبـد إفكييد توارشت ن وُذي
بـالقـدر الـذّي نـأمله أكـن إ تـمـنّـي

وانطلاقا من كل ما نقدم، يتضح أن الصوت النسوي الأمازيغي لجأ إلى إطلاق العنان لمخيلته الإبداعية بإنشاد الشعر أثناء تأديتهن لمختلف أعمالهن في البيت أو خارجه(الحرث، الحصد، الدرس، البناء، النسيج، الفتل ، مخض الحليب...إلخ) بهدف قتل الوقت، والتخفيف من مشاقه وتعبه.

شعر بعض الأعياد الدينية

كان للزوايا دورا كبيرا في ذيوع وانتشار الأشعار الدينية في منطقة القبائل، وكانت هذه الأخيرة تؤدى فرديا أو جماعيا في المناسبات الدينية المختلفة مثل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وعاشوراء، وعند زيارة الأولياء الصالحين والأضرحة، والهدف الأساسي من هذه الأشعار تقوية الرّوح الدّينية بين أفراد المجتمع وتزوّيدهم بالقيم والمبادئ الأخلاقية السامية، ومن هذه الأشعار نأخذ على سبيل المثال الأشعار والترانيم التي ترددها النسوة القبائليات صباح الاحتفال بالمولد النبوي الشريف(روتها كنيش أونيسة، 2016، سجلتها الباحثة نصيرة ريلي):

أطلبُ اللّه أطـلب الله طـالبِي طـالبي
اليوم عـرس مـولـد النّبي أَسَ تَمَـغْـرَى نْ النبي
فرحت الملائكة بمولده في السـماء فَرْحَنْتْ لَمْلُوكْ دقْ قـنْي

وقَاسمْتُها هذه الفرحة على الأرض إِزْنِيغْ أُولاَ ذْنَكِّنِي
الأوانِي الـفـارغـــة الحِيـلَةَ أُورْ يِشُّورنْ أَرى
امـــلأهـا لـي يـا رب تـشَّرِيتِـيـدْ أربي

وقد حرص عدد من النساء في حدود ما جادت به قرائحهن في أشعارهن الدينية على مدح الله ﷻ والاعتراف بقوته وعظمته، وبفضله على المخلوقات، كما وقفن طويلا عند شخصية الرسول (ص) ودوره في نشر الإسلام دين العدل والخير والكمال، قاصدات من وراء هذه الأشعار والأهازيج ترسيخ العقيدة الاسلامية في نفوس المؤمنين.

الشعر المأتمي والأحزان:

وهي الأشعار وأغاني التي ترددها النساء أثناء توديع المرحوم، ونقله إلى مثواه الأخير، للتعبير عن حزنهن وشجنهن لفقد هذا العزيز من جهة، ومن جهة أخرى تذكير الحاضرات بالموت الراصد كلّ النّاس، فلا أحد يفلت منه مهما كانت قوته ومكانته، وكنموذج لهذا الذكر المأتمي ننتقي هذه المقتطف القائل(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.231):

لا إلــه إلاّ الــلــه	لا إلـه أ إيــلاَ الّــله
مـحـمـد رسـول الله	مُحَـمـد رسُـول اللـه
المـوت واجبة أيّها المسلم	لْمـوُت دَلْواجَبْ أَلِسْـلامِ
رحـابـها من زمان عامر	السُّوقِيــسْ يِزْق يِعْمـرْ
كلّ نفس تلقى نفس المصير	تَـتَّـوِي مَدَنْ سِرّيفْ
صغـير كان أم كبـير	أمَـا مِـزّي ناغْ مقَّرْ
نهاية الإنسان اللّحد والتراب	لَـقْرَارْ نْ بْنَادَمْ ذَزَّكَى
فـما فائدة طول العمر	إوُومِي تِغـْزِي نْ لَعْمَرْ

ومن خلال هذا النموذج الشعري المقدم، يتضح لنا أن النسوة الأمازيغيات أبدعن أشعار وأغان جنائزية ودّعن بها موتاهم متمنيات لهم الظفر بالحياة الطيبة في الجنة، ودعوة الأحياء إلى تقوى الله وعمل الخير، والاتصاف بمكارم الأخلاق للفوز بالحياتين الدنيا والآخرة معا.

. الشعر النسوي الثوري:

كماغلب على الشعر الأمازيغي الأثر الوطني الثوري والمناداة بالحرية، وهذا ما أكده الباحث مُحَّد جلاوي في قوله:«الشاعر القبائلي لا يشكل استثناء بل كان في مستوى هذا الوصف الذي اشتمل عليه القول، إذ أسهم بشكل فاعل في إذكاء الحس الثوري في الأوساط الاجتماعية، وعاش محنة الغازي الدخيل بكامل جوارحه، بل أكثر من ذلك وأدهى، حين مارس الفعل النضالي بشكل مزدوج: بحيث سلط على العدو نيران الكلمة بما نظمه من أشعار تقذف حمامها في وجه الغازي المغتصب، وشارك مشاركة فعلية بحمل السلاح إلى جوار أبناء جلدته بشجاعة وإقدام»(مُحَّد جلاوي، 2009، ص.274.)، تماما كمشاركة المرأة الشاعرة، فقد أصبح الشعر الثوري شكل من أشكال المقاومة للاحتلال، ورفض الظلم والقهر، التنكيل والتشريد الذي عانه الشعب الجزائري الأبي على يد الاحتلال الفرنسي، ومن ذلك قول الشاعرة اللايمينة في قصيدتها أنا أجف مثل الخشب(يوسف نسيب، 2007، ص.ص.352، 353):

هــا أنـا جـاف كـالخشب

شبعنا المرارة

شربنا القطران وتجرعـنا الحنظـل

على يد الفرنسي الذّي اجتاز عتبة الدّار

للثـأر منّا

والاعتـداء علينا دون قيد يـردعه

وإنّـا لنستغيث طالبين يتتتد العون

مـن الـمـغرب إلـى مـصـر

يـا مـعـشـر أوليـاء آيت عيسى

يـا الـشيـخ مُـحـنـد العيذلـي

ألـحـقـوا بـهم الـويل والدمار

لقـد جعلوا أراضينا قاحلة في ثـوان

وأحـرقـوا حـقـولـنـا

وأغاروا تدريجيا على كـل مكان

لقد دمرّوا الأشجار والعلف تدميرا

وخـربـوا مـطامرنا تخريبا

وأبـادوا كـل الـنبـاتات

كما تغنت المرأة الشاعرة ببطولة زوجها الشهيد وأشادت بها، كما يظهر ذلك في قصيدة وردية عازم(Youssef Nacib,1993,P.42.):

يا أمـاه سـقـط مني إيفزيـمِي أيِـمـا يِـغْـليِ وفـــزِيـمْ

الـمـوشـى بالـــذهـــب تـــنِـــيضْ الذْهبْ إ فَلاَسْ

لو أنـي فـقـدتـه فقـــط لاَمَـــرْ ذرْوَاحْ إِيـــرُوحْ

لهب كل أبناء العرش للبحث عنه دْ لْعـرّشْ أيْنَـــاذِينْ فَلاَسْ لكنّـه

مـات شـــهيـدا أســـمْـــي ذَجْاهَذْ إ قمُوثْ

فقرعت الطبول لأجلـــه نِيغْ إوَتَ الطـــبَّلْ فـلاسْ

لأنـه رجـل شـرف وحرمـة الزّرِيغْـثْ دَرْقْـازْ لْحـرْمة

ورجـــل عـــــزة يـرْنَ دِينِـــفِـــي

أقسمت بـأن لا أتزوج رجلا بعده عُهـدَاغْ إِررْقْــازَنْ فلاسْ
تـرك لي ثلاثة بـــنـــات إيجايـدْ ثْــلاَثَة ثُولاَسْ
حبهن في قبي كحبي لثلاث ذكور دقْ ڤولِـيوْ شُبَـانـتْ أَرَاشْ
يا بناتي إصبرن لا تبكين والدَكُـن أَ يِسِي صَبْـرَمْتْ أُورْ تْـرُومْـتْ
فنحن نعيش في كنف حرمته وشرفه أَقْلاَغْ نُــوقْرَادْ ذي حُرْمـاسْ

كما عبرت النصوص الشعرية النسوية وأفصحت عن تحقيق الجزائريين للنصر، وعلو العلم الوطني شامخا فوق ربوعه (مُحَّد جلاوي، 2010، ص.210) :

العـلـم الذي رفعه عميروش لـعْـلام إيـديشود عـمـيروش
مطبوع بالهلال والنـجـمـة فــلاس أقـــور ديثري
رفـعـه مـن تـونــس إيـشـويثيد سي تـــونــس
وبـــلغ بـه مشارف مِشْلي ألـمـي دْ لعْـمـالـة نْ مـشْلي

كما فضحت الشاعرة اللايمينة الخونة من أهل القبائل الذين باعوا الوطن والدّين مقابل بعض الامتيازات التي حظوا بها من طرف القادة والضباط الفرنسيين، وفي هذا المجال تقول(يوسف نسيب، 2007، ص.355) :

بـسبب الـخائـن وجـه جـهـنّم
الـذي لا يـراعـي حـرمة الجار
أمـبـــارك مـوح أوقـاسي
تماما مثل حسين الذّي كان عربيدا
ومـولـــود أعـــــراب
وبلقااسم الـذّي كـان ملـتزما
موح أعميروش يحمـل الـلـواء
هـــــو وسعيد الـعـجـوز
فبطبق من الكسكسي باعوا دينهم ومِلّتَهم.

وقد بلغ هذا النوع من الأشعار ذروته وازدهاره في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث عملت الشواعر الأمازيغيات على بثّ الحماس في نفوس الجماهير الشعبية لرفض هذا المحتل الفاسد الذّي أهمل أحوال البلاد والعباد، وألهب في أفئدتهم حبّ الوطن والتّضحية بالنّفس والنّفيس من أجل استرجاع سيادته وحُرْمته.

وانطلاقا من كل ما تقدم، يتضح لنا أن المرأة القبائلية قد استطاعت أن تنقل لنا بكلّ صدق وأمانة واقع الثورة التحريرية، كما أشادت ببطولات الثّوار، ومجدت تضحياتهم.

. الشعر الاجتماعي:

اهتمت المرأة الامازيغية الشاعرة بتصوير مكانتها في ظل مجتمعها التقليدي الذي جعل من الذكر المركز رديف السيادة والقوة، ونتيجة لذلك قلّت مكانة الأنثى وأهميتها عندهم، فحط من قدرها وقيمتها، وهذا ما أكّد عليه هانطو في قوله:«فالأم التي تلد ذكرا ينتابها الإعتزاز والكبرياء فتضع على رأسها تاجا مرصعا، لتعلن للجميع أنّها أنجبت هذا اليوم رجلا، أمّا الأم التي تلد أنثى فيحدث عكس ذلك تماما، إذ يُخيم الحزن على البيت، وتشعر الأم بالذّل والهوان»(أمُحَمَّد جلاوي، 2001، ص.8)، مثلما يتراءى لنا من خلال هذه الأبيات:

أنا من يقال لها امرأة ذنّكِ إمي قارن تمطوث
حزنت القلوب يوم ميلادي لولاغد حزنْت ثَسَاوين
تلك التي ولدتني كابدت الويل ثين إيديرون ثعبا
وُضعت خلف الباب أرانتس دفِير ن لوح
كأنّها مخلوق من غير روح أمزون أور تسعي أروح
أبي أضحى مسكينا بابا يوغال ذمسكين
في ثجماعث أخذ زاوية ذي ثجماعث يطّف تَسقا
بسبب الأنثى التي وضعت في المهد غاف ثين يقونين ذي دوح
يا أماه عانيت الكثير منذ صغري أيما إقعدان ذي تمزيوْ

وتزكي هذا الرأي أيضا الفنانة نوارة في قولها:

تغنى الجميع بجمالي تشْنام آك غاف زينِيو
وتغنيتم بعفتي تشنام فلحُرْما كسبْاغْ
لا أحد تذكر حقوقي حدْ أور ديمكثى لحيقِيو
أنزلتموني منزلة الحيوان ذَلْمال تسو نحسباغْ
اليوم وبعدما تفتحت عيوني ثُورا مي دلينتْ ولنيو
سأحاسبكم جميعا إيذْوُوم أذ محَاسباغ
أتذر يوم ولادتي شْفيغْ غافْ أسْمي إلُولاغْ
لم تقيموا الأعراس لاستقبالي أور دْيِلي وذْ ريزْ فل

عندما نظرت في وجوهكم يذون مي دمقْلا
أدرتم عنّي وجوهكم ثِزيم سقي ثَمُوغْلي
قلتم لأمي وأنا أستمع ثناماس إيما سلا
يلهمك الله الصبر يا ابنتي ربي أكمصبر أيلي

بينت المرأة الأمازيغية الشاعرة حاجتها الماسة لذويها بعدما تخلوا عنها بسبب امتهانها لفن الغناء، لذلك فضلت الاغتراب عن قريتها واستقرارها في الجزائر العاصمة، مثلما يبينه هذا النص الشعري المؤدى من طرف المغنية شريفة:

حملت ما حمله عمود البيت عباغ إقعبا وجقو
الشمس تشرق دوما عليّ إطيج فلّي إدجبو
والتي ليس لها والدين إثين أور نسعي إمولان
كيف لها أن تفرح ملْثِيد آمِيك أراتزهو
من دعا لي بالسوء أيما منهو إيذعان
لم أعش يوما سعيدا أور أوفيغ آسْ بِلهان
لم أفرح ولم أبتهج أور زْهيغ أور فريحاغ
شبابي مضى في الطريق ثمزيوْ ثرُوح قر برذان

دعت المبدعة الأمازيغية إلى تحرير المرأة من العادات والأعراف البالية التي تسعى إلى تقصير دورها في الإنجاب وإنجاز الأشغال المنزلية، فدعتها إلى المساهمة في تطوير البلاد ورقيه، عن طريق تعليمها لإثبات قيمتها ودورها في المجتمع، وبالتالي تحقيق المكانة اللائقة بها بجوار أخيها الرجل، وهاهي للفنانة نوارة تُبين ذلك في قولها:

أمي العزيزة يا أمّي أيما عْزِيزن أيما
أرجوك قولي لأبي تسخيلم إناس إبابا
أن لا يخدعني أور يتتسغُور أرى
أنا مازلت صغيرة في السن نَكْ ما زَاليي مزياغْ
الزواج لن يفوتني زواج أريفوت أرى
اتركوني أتعلم أنْفِي أذ غْراغْ

كما دعت المرأة الشاعرة أبناءها على الإتحاد والتآزر فيما بينهم لأن في الإتحاد قوة، وتوصيهم بالتمسك بقيم وأعراف الأجداد العريقة كالعزة والأنفة مثلما يتجلى من خلال هذا المقطع :

اتحدوا وحذار من الانقسام إزديث غوروات أتبضوم

وإلاّ ألحق بكم العدو الأذى	مولاش إغْذاون أكنُوثن
اجعلوا قلوبكم صافية نقية	ثزدق أكن أتسْعُوم
ففي الإتحاد قوة	تزمارث أور يسعي يوان
اتحدوا لتصحوا أقوياء	دوكلثْ أكن اتجهذم
لتتمكنوا من مواجهة الأعداء	أتسرم ثيط قوعذاو

كما لعبت الشعر النسوي دورا هاما في تقوية الوعي الشعبي بالانتماء إلى الهوية والثقافة الأمازيغية، لأن ضياع اللّغة يعني ضياع ثقافة الأجداد التي هي المعادل الموضوعي لضياع الذات، مثلما يظهر من خلال هذه المقاطع للفنانة نوراة(مُحَّد جلاوي، 2010، ص.ص 219، 220) :

أوصيك يا بني العزيز	أكوصيغ أمي عزيزن
عيب إذا نسيت أصلك	ذلعيب ما ثتسوض لاصليك
فتفقد قيمتك وهيبتك عند الغير	أولاش وكيحسبن
إذا تناسيت أهلك	إمور تسينض إمولانيك
احذر أن يخدعك التائه في بلاد النّاس	حاذَر أكيغور وي جاحن
فتزول دون أن تترك أثرك	أتسروحض أور ديجيض لاثريك.

وهكذا يتبين لنا أن رحلة الشاعرة الأمازيغية في المطالبة بهويتها الضائعة تعود إلى ما قبل مرحلة الاستقلال بعدما رفضت السلطة السياسية آنذاك الاعتراف بها كطرف أساسي في هوية هذا الوطن، لذلك جاءت أشعارها مشبعة حتى التخمة بالهوية الأمازيغية.

النتائج والتوصيات:

أما الآن، وأشرفنا على نهاية البحث واكتماله، وحان الأوان لعرض أهم نتائجه وحقائقه، إذ توصلنا من خلال ما تم عرضه إلى استخلاص النتائج التالية :

1. أنّ الشعر النسوي كان ولا زال وسيبقى قائما ببقاء الحياة نفسها، فقد استطاعت المرأة الأمازيغية من خلاله التعبير عن مكنونات صدرها وانشغالاتها تماما مثل ما كان عند سائر النساء في العالم، فقد أنشدت الشعر

وهي في البيت تؤدي واجباتها المنزلية كزوجة وأم(تربية الأبناء، الطهي العجن،...)، وحين كانت خارج المنزل تجمع الزيتون، تجمع الحطب، تساعد زوجها في الحقل، كما صورت من خلال أشعارها أفراحها وأقراحها، وآمالها، وتطلعاتها المستقبلية، ووثقت للأهم الأحداث التاريخية التي مرت على البلاد.

2. رفضت الشاعرة الأمازيغية من خلال أشعارها أسلوب المجتمع الذكوري الذّي يُقلل من مكانتها، ونادت على ضرورة إلغاء القوانين، والعادات والتقاليد البالية، والأنظمة التي تعمل على التمييز ضد المرأة على حساب الرّجل التي تجعل الإبداع حكرا على الرّجال لا يحق للمرأة أن تشارك فيه.

3. استطاعت المرأة الأمازيغية أن تتبوأ مكانة مرموقة في قول الشعر، وأن تفرض نفسها وبقوة إلى جانب الشعراء الرجال، فاستطاعت أن تفض وجودها المتميز في المشهد الشعري الأمازيغي، وهذا ما سمح ببروز أسماء نسوية رائدة ساهمت في إغناء الشعر الأمازيغي بالعديد من القصائد الشعرية.

4. عالجت المرأة الأمازيغية مواضيع عديدة ومختلفة تخص الأمومة والطفولة والأفراح، كما كانت القضايا الوطنية محط اهتمامها، فقد كتبت عن الثورة وعن مختلف التحولات الساسية التي مرّت بها البلاد.

أما أهم **التوصيات والإقتراحات** التي يمكن أن نختم بها، نوجزها في ما يلي:

- ✓ ضرورة المحافظة على التراث الشعري النسوي الأمازيغي من حيث جمعه والعمل على تدوينه خوفا من الضياع والاندثار.
- ✓ ابراز دور الشعر النسوي في الحفاظ على اللّغة الأمازيغية الأصيلة من الانقراض والاندثار، عن طريق نقلها جيلا عن جيل عبر قناة الشفوية.

المراجع والمصادر:

. الأمين مُحَّد أحمد(1969)،، الشعر الشعبي في سيدي خالد، مجلة الآمال مجلة أدبية ثقافية تصدر عن وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ع.4، ط.2..

. الأنماط الشعرية الأمازيغية(2005)، أشغال ملتقى C.E.A.E.L.P.N ، 30 سبتمبر، 1أكتوبر، الرباط.

. جلاوي أمُحَّد،(2001) أشعار شعبية من قبائل جرجرة(قراءة نقدية في كتاب هانوطو)، منشورات زرياب ، الجزائر.

. جلاوي مُحَّد(2009)، تطور الشعر القبائلي وخصائصه(بين التقليد والحداثة)، ج.1، المحافظة السامية للأمازيغية، تيزي وزو.

. جلاوي مُحَّد(2009)، تطور الشعر القبائلي وخصائصه(بين التقليد والحداثة)، ج.2، المحافظة السامية للأمازيغية، يتزي وزو.

. حويلي نيبل(2012)، أشعار الزواج بمنطقة عزازقة(مقاربة نياسية)، رسالة ماجستير، قسم الغة والأدب العربي، جامعة تيزي وزو.

. علي حسنين سامية(2006)، صورة المرأة في المثل الشعبي، ط.1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

. المجلة الأردنية للفنو(2013)ن، مجلد 6، ع.2.

. نسيب يوسف(2007)، مختارات من الشعر القبائلي، ترجمة لخضر سيفر، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر.

. Youssef Nacib,(1993),Anthologie de la Poésie Kabyle , Edition Andalouses, Alger.